الفصل الثامن

# قصة إسلام
# (أبي أيوب الأنصاري) رضي الله عنه

obeikandl.com

obeikandl.com

# قصة إسلام أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

٤٩

(أبو أيوب الأنصاري) اسمٌ امتلك حبُّه القلوبَ، وارتبط ذكره باستضافته لسيِّد الخلق ﷺ في منزله، حين هاجر رسولُ اللَّه ﷺ إلى المدينة المنورة، فكان أولَ منزلٍ نزل فيه الرسولُ ﷺ، هو بيت (أبي أيوب الأنصاري) رضي اللَّه عنه وأرضاه، فمن هو أبو أيوب؟ وما هو اسمه؟

**اسمه:** (خالدُ بنُ زيد) وكنيته (أبو أيوب الأنصاري) رضي اللَّه عنه وأرضاه.

لمَّا وصلَ الرسولُ الكريم إلى المدينة، وهو يمتطي ظهر ناقته ـ أنثى الجمل ـ وقد تزاحمت الأنصارُ حول زمام الناقة، كلٌّ يريد أن يستضيف رسول اللَّه!

بلغ الموكبُ دورَ (بني سالم) فاعترضوا طريق الناقة، طالبين من رسول اللَّه ﷺ أن يقيم عندهم، متوسِّلين إليه أن يُسعدهم بالنزول في دورهم، ويجيبهم الرسول ﷺ وعلى وجهه الابتسامة: «دَعُوا الناقةَ فإنها مأمورة»!!

## الأنصار يستضيفون رسول اللَّه ﷺ

ومضت الناقةُ تسير برسول اللَّه ﷺ، وكلَّما مرَّ على دارٍ من دور الأنصار، استبشروا بوصوله، وفتحوا منازلهم ليكون ضيفَهم سيِّدُ الخلق، المهاجرَ من مكة، ليستقرَّ في البلد الطيِّب، الذي اختاره اللَّه له، ليكون مقرَّ إشراقة (النور الإلٰهي) للدولة الإسلامية الحديثة، ومنطلق رسالة السماء، إلى أهل الأرض، ليخرجهم من الظلمات إلى النور!!

أمام دار (مالك بن النجار) بركت الناقةُ، واستقرت في مكانها ونزل الرسولُ ﷺ عنها، والجموعُ الحاشدةُ تنظر إلى محيَّاه، وأهازيجُ الفرح تتعالى أصواتها إلى عَنَان السماء:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا ... جِئْتَ بِالأَمْرِ المُطَاعْ
جِئْتَ نَوَّرْتَ المَدِينَة ... مَرْحَبَاً يَا خَيْرَ دَاعْ

## أين نزل النبيُّ المهاجر ﷺ؟

**أتدرون في أيِّ دارٍ نَزَل هذا (النبيُّ المهاجر)؟** الذي ضاقت به مكة، فهاجر منها ليستقرَّ في البلد الطيِّب، الذي اختاره اللَّه له (طيبة الطيِّبة)؟

**إنها دار (أبي أيوب الأنصاري) حفيد مالك بن النجار**، واسمه الذي عرفه به المسلمون (خالدُ بنُ زيد) رضي اللَّه عنه وأرضاه. والآن ورسولُ اللَّه ﷺ يحلُّ المدينة، ويشرِّفها بسكناه، ويتخذها عاصمةً لدين اللَّه الجديد، فإن الحظَّ الأوفى من هذا الشرف العظيم، كان (لأبي أيوب) الذي جعل من داره، أولَ دار يسكنها المهاجرُ العظيم، سيِّدُ خلقِ اللَّه على وجه الأرض قاطبة، وهنا ندرك كرامة المضيف، وعظمةَ الضيف، وسرَّ قولِ الرسولِ ﷺ للأنصار: (خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة)!!

**نعم إنها مأمورة، لأن المكان الذي بركت فيه الناقة**، هو المكانُ الذي سيقوم بجواره (المسجد النبوي الشريف) الذي ستشرق منه أنوار الرسالة المحمدية، وسيصبح المنطلق لهذا الدين الخالد، دين الإسلام[١].

## في منزل أبي أيوب سَكَن ﷺ

لقد ترك النبيُّ ﷺ للناقة زِمَامها، ليكون موطنُ قعودها هو المكانُ الذي يختاره اللَّه عزَّ وجلَّ لرسوله، موطناً لسكناه في المدينة المنورة، ثم ليكون مناراً تتجه إليه الأبصار، تشرق منه أنوار الدعوة الإسلامية، وينطلق منه صوتُ الحقِّ مجلجلاً مدوياً (اللَّهُ أكبر) (اللَّهُ أكبر) في أعظم مساجد الأرض، بعد المسجد الحرام، ألا وهو (المسجدُ النبويُّ الشريف) الذي قال عنه المصطفى ﷺ (صلاةٌ في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سواه، إلَّا المسجد الحرام)[٢]!!

**لم يكن هذا أولَ لقاءٍ لأبي أيوب الأنصاري مع رسول اللَّه ﷺ**، فمن قبلُ وحين خرج وفدُ المدينة لمبايعة الرسول ﷺ في مكة، تلك البيعة المباركة المعروفة بـ(بيعةِ العقبة الثانية) كان (أبو أيوب الأنصاري) بين السبعين من وفد الأنصار، الذين بايعوا رسولَ اللَّه ﷺ على الإيمان به، والنصرة له، وكانت هذه البيعةُ بدايةَ الطريق إلى الهجرة، بعد أن اطمأنَّ رسولُ اللَّه ﷺ إلى من يُؤويه ويحميه، ويحمل دعوته ويكافح عنها، حتى تُؤتي أُكُلَهَا وثمارها في طيبة الطيِّبة!

---

(١) انظر كتاب رجال من صحابة رسول اللَّه ﷺ للدكتور خالد محمد خالد.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه.

obeikandl.com

## بناءُ المسجد النبويّ الشريف

وفي المدة التي أقامها رسولُ اللَّه ﷺ بدار (أبي أيوب الأنصاري) بُني المسجد النبويُّ الشريف، بناه ﷺ في المكان الذي بركت فيه الناقةُ، وكان في الأصل بستاناً تهدَّم بعضُه، فَبُنيتْ فيه قبورٌ، واتُّخذَ طَرَفٌ منه مَرْبداً ـ أي مكاناً ـ لتجفيف التمر، وكان هذا المكان لغلامين يتيمين بالمدينة، وهما (سهلٌ) و(سهيل) ابنا (عَمْرِو بن عوف) من أولاد الأنصار، وكانا في كفالة (أسعد بن زُرارة) الذي كان أول داعٍ للإسلام في المدينة المنوَّرة، قبل هجرة النبي ﷺ إليها، فلما ساومهما على ثمنه بحضرة الوصيِّ، كان موقفهما في غاية الكمال والأدب، فقالا: لا نريد ثمنَه بل نَهبُه للَّهِ ولرسوله. أبى الرسولُ ﷺ إلَّا أن يكون بالثمن، فاشتراه عليه السلام منهما بعشرة دنانير، كما في رواية ابن شهاب الزهري، وبهذا التصرف الحكيم، ضرب الرسولُ ﷺ مثلاً كريماً في رعاية حقوق اليتامى[١].

**هذا المسجد الذي بُني على طاعة اللَّه ومرضاته،** كان بناؤه بعد (مسجد قُباء) وكانت أعمدته من جذوع النخيل، وكان سقفُه لا يزيد ارتفاعه على ثلاثة أمتار، وأرضُه مفروش بالرمل، ولكنه خرَّج العلماء، والرجال الشجعان الأبطال، ومنه انطلقت جحافل الدعاة إلى اللَّه، والمجاهدين في سبيل اللَّه، كما قال أحد الشعراء المعاصرين:

أَطْلَعَ المَسْجِدُ الكَرِيمُ أُنَاسًا ... أَنْتَجَتْهُمْ مَدَارِسُ القُرْآنِ

صَقَلَتْهُمْ يَدُ النَّبِيِّ فَأَضْحَوْا ... غُرَّةَ الدَّهْرِ فِي جَبِينِ الزَّمَانِ

وبقي هذا المسجد منارة هدى وإرشاد، يتلقى فيه المسلمون دروس العلم والحكمة، من معلِّم الإنسانية، وهادي البشرية، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا يزال يشع بالنور والضياء، لأهل الأرض أجمعين.

## رسولُ اللَّه ﷺ يبني معهم المسجد

شرع المسلمون يبنون المسجدَ، ورسولُ اللَّه ﷺ يحمل معهم الترابَ واللَّبِنَ، وأصحابه الكرام ينشدون:

هَذِي الحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَرْ ... هَذِي أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

ورسولُ اللَّه ﷺ يُشجِّعهم ويردِّد معهم بعضَ الأهازيج ويقول:

---

(١) انظر تهذيب سيرة ابن هشام، والسيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبة.

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ

وكان بعضُ الصحابة يرتجز فيقول:

لَئِنْ قَعَدْنَا والنَّبِيُّ يَعْمَلُ لَذَاكَ مِنَّا العَمَلُ المُضَلَّلُ

وفي هذا الارتجاز في الأشغال والأعمال، تنشيطٌ للنفوس، وترويحٌ للقلوب، بحيث يُسهِّل الشاقَّ، ويُليِّن الصعب.

ما أروعَ هذا المنظر!؟ وما أكرمَ هذا المشهد!!

الرسولُ ﷺ ينقل معهم التراب، ويحمل الحجارة، لبناء بيتٍ من بيوت اللَّه، التي قال اللَّه عنها: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ . . .﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧].

رأى رجلٌ رسولَ اللَّه ﷺ وهو ينقل التراب، فقال: (يا رسولَ اللَّه، ناولني لَبِنَتكَ ـ أي الحجر الذي تحمله ـ فقال له ﷺ: اذهبْ فخُذْ غير هذا!! فلستَ بأفقر منّي إلى اللَّه عزّ وجلّ)[1] وهكذا يكون موقف العظماء من الأنبياء.

## شجاعة أبي أيوب الخارقة

منذ بدأت قريشٌ تكيد للإسلام، وتَشُنُّ الغاراتِ على دار الهجرة بالمدينة المنورة، وتُجَمِّع الجيوش والقبائل، لتطفئ نور اللَّه في الأرض.!

منذ تلك البداية، احترف (أبو أيوب الأنصاري) حرفة الجهاد في سبيل اللَّه، ففي بدر، وأُحد، والخندق، وفي كلِّ المشاهد والمغازي، كان البطلُ المغوارُ (أبو أيوب) بائعاً نفسه ومالَه للَّهِ ربِّ العالمين.

وبعد انتقال رسولِ اللَّه ﷺ إلى جوار ربه، لم يتخلَّفْ عن معركةٍ كُتب على المسلمين أن يخوضوها، مهما كانت الشُقَّةُ بعيدة، والحرب فيها رهيبةً، شعارُه الذي يردِّده، قولُ الحقِّ جلَّ جلالُه:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

**كان حسبُه أن يعيش جندياً في جيش الإسلام**، يقاتل تحت رايته، ويذود عن حرمته!

**لقد كان (أبو أيوب) رضي اللَّه عنه**، لا يرجو من الدنيا سوى أن يظلَّ له مكانٌ فوق أرض الوَغَى، وبين صفوف المجاهدين.!

(١) انظر السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبة.

## خروجه للجهاد في سبيل اللّه لحرب الروم

لم يكن يبصر جيش الإسلام، يتوجَّه صوبَ القسطنطينيَّة، حتى ركب فرسه، وحمل سيفه، وراح يبحث عن الشهادة في سبيل اللّه، وفي تلك المعركة أصيب، ولمَّا ذهب قائد الجيش يعوده، وسأله: ما حاجتُك يا أبا أيوب؟ كان جوابه يعجز عن كلِّ تخيُّل وتصوُّر، لقد طلب منه أن يُوضع جثمانُه على فرسه إذا هو مات، ويُسار به إلى أطول مسافةٍ ممكنة من أرض الروم، وهناك يُدفن ليدرك المسلمون من بعده، أن النصر لا يكون إلَّا بالثبات والعزيمة، والصبر على مجاهدة أعداء اللّه، مع صدق النيَّة، وإخلاص العمل لوجه اللّه!

## مثوى أبي أيوب الأخير في إسطنبول

وفي قلب القِسْطنطينيَّة، وهي اليوم (إسطنبول) ثوى جثمان هذا المجاهد الصابر، الذي ترك المدينة المنورة، ليستقر في بلاد الروم بجسده الطاهر، حتى قبل أن يغمر الإسلامُ تلك البقاع، وتصبح مدينة (إسطنبول) عاصمةً لدولة (الخلافة الإسلامية) سبعة قرون، وترتفع على منائرها صيحةُ المؤذنين في الصباح والمساء (اللّهُ أكبر.. اللّهُ أكبر) وقبرُ هذا الصحابي الجليل هناك يُزار.

لقد أراد أن يكون مثواه الأخير هناك، في عاصمة تلك البلاد، ليتحقق قولُ الرسول الأعظم ﷺ: (لتفتحنَّ القسطنطينيةُ، فلنعمَ الأميرُ أميرُها، ولنعمَ الجيشُ جيشُها)!!

رحم اللّه أبا أيوب الأنصاري رحمةً واسعة، وأسكنه فسيحَ جناته، وجعله في الفردوس الأعلى، مع ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

* * *

obeikandl.com

# قصة إسلام ثُمامةَ بنِ أُثَال رضي الله عنه

٥٠

من روائع القصص والأخبار، قصة إسلام (ثُمامةَ) رضي اللَّه عنه، فقد كان إسلامهُ غايةً في الغرابة، وكان الرسول ﷺ بكريم أخلاقه، وحسن معاملته، وجميل فعاله، يأسر قلوبَ الناس، حتى من أشدِّ الناس عداوةً له، فقد حباه اللَّه عزَّ وجلَّ بالخُلُق الكريم، والقلبِ الرحيم، حتى أثنى اللَّه عليه، بذلك الثناء العاطر ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ويا له من ثناء لم ينله أحد من البشر، إلا المصطفى ﷺ صفوةُ خلْقِ اللَّهِ أجمعين!!

## ثمامة كان من أشدِّ الأعداء للإسلام

من هو ثُمامة؟ وما هي قصته؟ وكيف دخل نور الإيمان إلى قلبه؟ إليكم قصته بإيجاز.!

**هذا رجل من طغاة الكفر**، من ألدِّ الأعداء لرسولِ اللَّه ﷺ، يُدعى (ثُمامةُ بنُ أُثَال) من أتباع «مسيلمةَ الكذَّاب» الذي ادَّعَى النبوَّةَ في حياة رسول اللَّه ﷺ.

**كان «ثُمامة» من أشدِّ الناس عداءً للرسول ﷺ**، وبغضاً له، وخرج لحرب المسلمين يوم اليمامة، ضمنَ جماعةٍ من (بني حنيفة)، نصرةً لنبيِّهم المزعوم «مسيلمةَ الكذاب»!!

**يحكي لنا الإمام البخاري قصته وقصة إسلامه**، فذكرَ بسنده عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال: (بعثَ النبيُّ ﷺ خيلاً قِبَلَ نَجْد[1]، ـ لقتال مسيلمة

(١) بلاد نجد هي شرق مكة المكرمة فيها ظهر (مسيلمة الكذاب) الذي ادعى النبوة، وهي من أراضي المملكة العربية السعودية تسمَّى (الرياض) وأصبحت اليوم مهداً للدعوة الإسلامية.

الكذَّاب ـ فجاءت برجلٍ من بني حنيفة، يقال له (ثُمامةُ بنُ أُثال) فربطوه بساريةٍ من سواري المسجد ـ أي أحد أعمدة المسجد النبوي الشريف ـ، فخرج إليه النبيُّ ﷺ فرآه مربوطاً بالسارية، فقال له: ما عندكَ يا ثُمامةُ؟ ـ يعني ما شأنُك؟ هل تبقى على الكفر، أم تدخل في الإسلام ـ؟

**فقال له ثُمامة:** عندي يا محمد خيرٌ كثير ـ أي أطمعُ في عفوك ـ إن تَقْتُلْني تقتلْ ذا دَم ـ أي تقتل مستحقاً للقتل لأنني مُحارب ـ وإن تُنْعِمْ عليَّ تُنْعِم على شاكر، وإنْ كنتَ تريد المالَ فسلْ منه ما شئت!!

**فتركه ﷺ حتى كان الغد،** فمرَّ به فقال: ما عندك يا ثُمامة؟

**فقال له:** هو ما قلتُه لك: إن تُنْعِم تُنْعِم على شاكر!!

## إطلاقُ سَرَاح ثُمَامةَ

**فتركه إلى اليوم الثالث،** ثم قال ﷺ لأصحابه: أطلِقوا «ثُمَامةَ» وفكُّوه من الأسر ـ ولم يأخذ منه شيئاً من المال لقاء إطلاقه ـ.

**فانطلقَ ثُمامةُ إلى نخلٍ قريب من المسجد،** فاغتسل ثم جاء إلى المسجد، فدخل على رسول اللَّه ﷺ فقال له: (أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ، وأشهدُ أن محمداً رسولُ اللَّهِ).

**واللَّهِ يا محمد:** ما كان على الأرض، وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك! فقد أصبح وجهك اليومَ، أحبَّ الوجوه إليَّ.!

**واللَّهِ يا محمد:** ما كان من دِينٍ أبغضَ إليَّ من دينك، فأصبح دِينُك أحبَّ الدِّينِ إليَّ.!

**واللَّهِ يا محمد:** ما كان من بلدٍ أبغضَ إليَّ من بلدك، فأصبح بَلدُكَ أحبَّ البلاد إليَّ.!

فبشَّره رسولُ اللَّه ﷺ وأمرَه أن يذهب فيأتي بعمرة إلى مكة.

**فلمَّا قدم مكة، ورأوه يعتمر،** قالوا له: صبأتَ!! ـ أي تركتَ دينَ قومك ودخلتَ في دين محمد ـ!!

**قال:** لا واللَّهِ ما صبأتُ، ولكنِّي أسلمتُ مع محمد رسول اللَّه ﷺ.

**ثم قال لأهل مكة:** لا واللَّهِ، لا يأتيكم من اليمامة حبَّةُ حنطة، حتى يأذنَ فيها رسولُ اللَّه ﷺ)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديثُ ثمامة بن أثالٍ.

## المعاملة الحسنة للأسير سببٌ في إسلام ثُمامة

لقد أسلم (ثُمامة) رضي اللَّه عنه، لِمَا رأى من حُسْنِ أخلاقِ النبيِّ ﷺ وكريم معاملته، حيث أطلق سراحَه دون أيِّ فداء، إنه لم ير في حياته كلِّها، معاملةَ أسيرٍ هذه المعاملةَ الحسنة، كما عامله المسلمون به، ولهذا حلف أمامَ مشركي مكة، أنه لن يأتيهم شيء من الطعام من نَجْد، حتى يأذن به رسول اللَّه ﷺ.

وذلك لحملهم على الدخول في الإسلام، الدين العظيم الذي يكرم الأسرى، ويعرف لكل إنسان حقَّه الكريم في الحياة، وقد كانت تأتي الميرةُ لأهل مكة، من قِبَلِ قومه (بني حنيفة) من بلاد نجد، فأراد أن يمنعهم منها، ليُسْلِموا ويدخلوا في دين محمد الجديد، وكان ذلك سبباً لإسلام عدد من المشركين.

رضي اللَّه عن ثُمامةَ، وأسكنه فسيح جناته، ورزقنا اللَّهُ محبةَ أصحابِ رسول اللَّه أجمعين، وألحقنا بهم على طريق الخير والسعادة، إنه جواد كريم، بَرٌّ رحيم.

* * *

obeikandl.com

# قصة مدّعي النبوّة (مسيلمة الكذّاب)

## ٥١

**أمّا قصة مدّعي النُبوّة في زمن الرسول ﷺ**، وهو المسمَّى (مسيلمة الكذاب) الذي أسلم أحد أتباعه، وهو (ثُمامةُ بنُ أُثَال) وقد ذكرنا قصة إسلامه قريباً، فقد حدثنا عنها (عبد اللَّه بن عباس) رضي اللَّه عنهما، ورواها الإمامُ البخاري أيضاً في صحيحه، وهي تصوِّر لنا حقيقة الضلالة والجهالة، التي كان عليها (بنو حنيفة) أتباعُ مسيلمة الكذَّاب.!

**فعن عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال:** (قدمَ مسيلمةُ الكذَّابُ على عهد رسول اللَّه ﷺ المدينة المنوَّرة، فجعل يقول: إنْ جعل لي محمدٌ من بعده الأمر ـ أي أمر النبوَّة ـ تبعتُه!

وقدِمَها في بَشَرٍ كثير من قومه ـ أي أتباعه الضالين الذين يؤمنون بنبوته ـ فأقبل إليه رسولُ اللَّه ﷺ، ومعه (ثابتُ بنُ قيس) وفي يدِ الرسول ﷺ غصنٌ من النخيل، حتى وقف على (مُسَيْلمةَ) في أصحابه، فقال له ﷺ: لو سألتني هذه القطعة من الجريد ما أعطيتُكها، ولن تعدوَ أمرَ اللَّه فيك ـ أي لن تتجاوز حكم اللَّه بإظهار كذبك وهلاكِكَ ـ ولئن أدبرتَ ليعقرنَّك اللَّهُ، وإني لأراكَ الذي أُريتُه فيك ـ يعني في المنام ـ وهذا ثابتٌ يجيبُك عنّي، ثم انصرف ﷺ عنه.

### توضيح مراد الرسول من رؤياه

**قال ابن عباس:** فسألتُ أبا هريرة عن قول الرسول ﷺ: (إني لأَرَاكَ الذي أُريتُ فيه ما رَأَيتُ) فأخبرني أن رسول اللَّه ﷺ رأى رؤيا في منامه، قال: (بينا أنا نائمٌ، أُتِيتُ بخزائن الأرض ـ يعني كنوزها من الذهب والفضة ـ فوُضِعَ في كفّي سواران من ذهب، فكبُرَ عليَّ وأهمَّني شأنهُما، فأُوحي إليَّ في المنام أن انفُخْهما، فنفختهما فطارا وذهبا، فأوَّلتُهما الكذَّابيْن، اللَّذيْنِ أنا بينهما، أحدُهما (الأسودُ

العَنْسيُّ) صاحب صنعاء، والآخر (مسيلمةُ الكذَّابُ) صاحبُ اليمامة)[١].

## جهالة ما بعدها جهالة

ولنستمعْ إلى حال هؤلاء الذين فُتنوا بعبادة الحجارة، وصدَّقوا (مسيلمةَ الكذَّاب) في دعواه النبوة، فقد روي عن (أبي رجاء العُطَاردي) وهو يحكي حال قومه في الجاهلية أنه قال: (كنَّا نعبُد الحجرَ، فإذا وجدنا حَجَراً أحسنَ منه، ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حَجَراً، جمعنا كومةً من تُراب، ثم جئنا بالشاة، فحلبنا لبَنها عليه، ثم طفنا به ـ أي جعلنا هذا مطافاً لنا نطوف حوله، كأنهم يعبدون هذا الصنم من التراب ـ وهذه جهالةٌ ما بعدها جهالة!!.

**يقول:** وكنتُ يومَ بُعثَ النبيُّ ﷺ، وأوحي إليه بالنبوَّة، أرعى الإبلَ لأهلي، فلمَّا سمعنا بخروجه، فَرَرْنا إلى النَّار، إلى (مسيلمةَ الكذاب)[٢].

أي تركوا النبيَّ الصادق، الموحَى إليه من السماء، وصدَّقوا (مُسَيلمةَ الكذَّاب) فخرجوا من النعيم إلى الجحيم، ثم أسلمَ (أبو رَجَاء) رضي اللَّه عنه، وصار من خيرة الصحابة الكرام.

**هكذا كان العرب في جاهليتهم**، يعبدون حجارة صمَّاء بكماء، ويتبعون صوت كل ناعق إلى الضلال، ولمَّا جاءهم النور الإلٰهي ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين، ودعاهم إلى توحيد اللَّه نفروا، وقالوا ما قصَّه القرآن الكريم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقد قُتل عدوُّ اللَّه (مسيلمةُ الكذَّاب) في حرب الردَّة، وأهلكه اللَّه شرَّ إهلاك، وكان مقتلُه على يد (وحشي) الذي كان قد قَتَل (حمزةَ) رضي اللَّه عنه، عمَّ الرسول ﷺ، ثم أسلم وحشي، وكان يقول: قتلتُ بحربتي هذه أفضلَ الناس (حمزة) وقتلت بها شرَّ الخلق (مسيلمة الكذاب) وأرجو أن يكون ذلك كفارة لذنبي.

* * *

(١) أخرجه البخاري في المغازي، قصة الأسود العنسي ومسيلمة الكذَّاب.
(٢) روى هذه القصة الإمام البخاري في صحيحه من كتاب المغازي.

# قصة إسلام حاطبِ بنِ أبي بَلْتعة

## ٥٢

(حاطبُ بن أبي بلتعة) أحد المسلمين المستضعفين، هاجَرَ إلى المدينة المنورة، واستقرَّ بها، يتلقَّى عن رسول اللَّه ﷺ العلمَ، والهُدَى، والإيمانَ، شهد بدراً، وقاتل قتالَ المغاوير الأبطال، وفي بدر انتصر جند الرحمن على جند الشيطان، نَصَرَ اللَّهُ عباده المؤمنين، مع قلَّتهم، وكثرةِ أعدائهم، ودَحَر المشركين فولَّوا الأدبارَ هاربين.

**ولمَّا كان يومُ فتح مكة، وقد تجهَّز رسولُ اللَّه ﷺ لغزوهم**، بعد أن نقضوا عهدَ الصلح معه، المشهور بـ(صلح الحديبية) أراد الرسولُ ﷺ، أن يُفاجِئَهم بغتة، لئلا تُراق الدماءُ في بلد اللَّهِ الأمين، ويحصل (فتح مكة) بأقلِّ الخسائر في النفوس والأموال، ويدخلها بطريق الصلح، أو باستسلام كفار مكة.!

**ولذلك أعلمَ النبيُّ أصحابَه، أنه سائرٌ إلى مكة**، وأمَرَهم بالجدِّ والاستعداد لهذا (الغزوِ المبين) الذي قال اللَّه عنه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] ولا يراد بالفتح هنا إلَّا (فتح مكة) لأنه هو (الفتح الأعظم)، حيث دخل الناسُ في دين اللَّه أفواجاً، أفواجاً.

**وقد دعا رسول اللَّه ﷺ ربَّه فقال**: (اللهمَّ خذِ العيونَ والأخبارَ عن قريش، حتى نَبْغَتَها ـ أي نفاجئها ـ في بلادها، فلا تتهيَّأ لحربنا!!

## خطيئة جسيمة من حاطب رضي اللَّه عنه

**ولقد وقعت من (حاطب بن أبي بَلْتعة)** خطيئةٌ كبيرة جسيمة، كادت تدمِّر المخطَّط الذي رَسَمه رسولُ اللَّه ﷺ، وتكشفُ للعدوِّ الجيشَ الذي خرج من المدينة المنورة، متوجهاً إلى مكة لغزوها، فيتأهَّبوا لقتال الرسولِ والمسلمين، وتُراق الدماءُ بسبب هذه الخطيئة.! وقصة حاطب مع أهل مكة، ذكرها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، ونحن ننقلها كما رواها شيخ المحدّثين (البخاري) رحمه اللَّه تعالى.

obeikandl.com

**فقد كتب حاطبُ إلى أهل مكة**، يخبرهم أن الرسول ﷺ تجهَّز لقتالهم ليأخذوا حِذْرهم، وأرسل لهم رسالة مع (امرأة مسافرة) ونزل جبريل عليه السلام، يُخبر الرسولَ ﷺ بالأمر، فبعث الرسول ﷺ (علياً، والزُّبيرَ، والمِقْدادَ) وقال لهم: انطلقوا إلى (روضة خَاخ) ـ حديقة وبستان بقرب المدينة ـ فإنَّ بها امرأةً ظَعِينةً ـ أي مسافرة ـ معها كتاب فخذوه منها.!

**فانطلقوا مسرعين حتى أتوا الروضة**، ووجدوا فيها المرأة، فقالوا لها: أخرجي الكتابَ، فقالت لهم: ما معيَ كتاب!!

**فقال لها عليٌّ رضي الله عنه**: لَتُخرِجنَّ الكتابَ أو لنلقينَّ عنكِ الثياب؟

ـ هدَّدها عليٌّ بنزع ثيابها لتفتيشها ـ فأخرجته من ضفائر شعرها، يقول: فأتينا به النبيَّ ﷺ، فإذا فيه هذا الخبر المفجع!!

(من حاطبِ بنِ أبي بَلْتَعةَ، إلى ناسٍ بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمرِ رسول اللَّه ﷺ).!

**فقال: رسولُ اللَّه ﷺ**، يا حاطبُ ما هذا؟ ـ أي ما هذا الأمرُ الذي فعلته ـ؟

**فقال: يا رسولَ اللَّه**، لا تَعْجل عليَّ، إني كنتُ امرأً مُلْصَقاً في قريش ـ أي كنتُ حليفاً لقريش ولم أكنْ من أَنْفُسِها ـ وكان مَنْ مَعَك من المهاجرين، لهم قراباتٌ يحمون بها أهليهم، وأموالَهم، فأحببتُ إذْ فاتني ذلك من النَّسب فيهم، أن أَتَّخذ عندهم يداً ـ أي أؤدِّيَ لهم بعضَ الجميل ـ يحمونَ بها قرابتي.!

وما فعلتُه ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام!!

**فقال رسولُ الله ﷺ**: أَمَا إنَّه قد صَدَقكم.!

**فقال عمر: يا رسول الله**، دَعْني أضربْ عُنقَ هذا المنافق؟

**فقال له ﷺ**: يا عمر، إنه قد شهدَ بدراً، وما يُدْرِيك أن اللَّه اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم!؟ فأنزل اللَّه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ...﴾ الآية [الممتحنة: ١].

## العظة من قصة حاطب

هذه القصة رواها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، وفي كتاب التفسير «سورة الممتحنة».

**ونقف قليلاً أمام هذه القصة لنستجلي من ورائها أمرين:**

**الأول:** من الذي أخبر الرسولَ ﷺ بشأن هذا الكتاب؟ وأطلعه على ما دار بين «حاطب بن أبي بلتعة» وبين تلك المرأة المسافرة؟ لا شكَّ أنه الوحيُ من قِبَل ربِّ العالمين، ذي العزَّة والجلال، حيث أطلعه اللَّهُ على الخبر، والحادثة، والمكان الذي وصلت إليه المرأةُ (روضة خاخ) مما يزيدنا يقيناً بأن محمداً ﷺ أحدُ رسل اللَّه الكرام بحقٍّ، الذين أوحى اللَّه إليهم، فالأمر غيبيٌّ أطلع اللَّه رسوله عليه، والخبرُ وحيٌ وهي (النبوَّة) وهو مظهر من مظاهر التأييد الإلٰهي لنبيِّه ﷺ حتى يتمَّ المخطَّطُ الإلٰهي للفتح الأكبر!

**الثاني:** قولُ الرسول ﷺ لعمر، حين طلب من الرسول أن يأذن له بضرب عنقه: (يا عمرُ، إنه شَهِدَ بدراً، وما يدريكَ لعلَّ اللَّه اطَّلعَ على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتُم فقد غفرتُ لكم) ممَّا فيه إشادةٌ عظيمة، بمن حَضَر (غزوة بدر) وفضل هؤلاء الذين قاتلوا في بدر، حتى جعل اللَّه لهم مكانةً رفيعةً سامية، تستوجب أن يُغفر لهم كلُّ خطيئة، وكلُّ ذنب فعلوه، إكراماً لهم على ذلك الشرف العظيم، الذي استحقوه بجهادهم أعداءَ اللَّه، في أول غزوة وقعت بين المسلمين والمشركين، ويا له من شرف عظيم لا يدانيه شرف.!

رحمَ اللَّهُ (حاطبَ بنَ أبي بلتعة) وأسكنه فسيح جناته، فقد نصر الإسلامَ في (غزوة بدر) فحاز شهادةَ العزِّ والفخار، بتضحيته وجهاده، ونال العفو والمغفرة على خطيئته في (غزوة الفتح) بشهادة الصادق المصدوق صلواتُ اللَّه وسلامه عليه حين قال لعمر: (وما يدريك لعلَّ اللَّهَ اطَّلعَ على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم) وصدق اللَّه العظيم حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

* * *

obeikandl.com

# الصلح بين الرسول والمشركين
# قصة صلح الحديبية وبيعة الرضوان

## ٥٣

في السنة السادسة من الهجرة، تمَّ الصلح بين الرسول ﷺ، وبين المشركين، وكان هذا الصلح بدايةً للفتح الأعظم (فتح مكة) وبه تمَّ العزُّ، والنصرُ، والتمكينُ للمؤمنين، ودخل الناس في دين اللَّه أفواجاً.!

**كان سبب هذا الصلح**، تلك الرؤيا التي رآها رسولُ اللَّه ﷺ وهو بالمدينة المنورة، فقد رأى في منامه أنه دخل مكة مع أصحابه محرمين، وطافوا بالبيت الحرام، آمنين مطمئنين، ثم تحلَّلوا من عمرتهم، فحلقوا وقصَّروا، فحدَّث الرسولُ ﷺ بذلك أصحابه، ففرحوا واستبشروا، فلمَّا خرج مع أصحابه إلى (الحديبية) ـ وهي قريبة إلى مكة على بعد عشرين (٢٠) كيلومتراً ـ وصدَّه المشركون عن دخول مكة، أرسل لهم (عثمان) رضي اللَّه عنه، ليخبرهم أن الرسول وأصحابه، ما جاءوا لحرب ولا قتال، وإنما جاءوا للعمرة، يريدون بيت اللَّه الحرام لأداء النسك!!

## بيعةُ الرضوان وإشاعة قتل عثمانَ

ولمَّا وصل إليهم (عثمان) رضي اللَّه عنه، وأبلغهم رسالةَ النبي ﷺ والغاية من مجيئه، حبسوه عندهم، وجاء الخبرُ إلى الرسول الكريم أنَّ (عثمانَ) قد قُتل، عندئذٍ دعا الرسولُ ﷺ أصحابه إلى البيعة، على أن يدخلوا مكة حرباً، بايعوه على الموت في سبيل اللَّه، وعلى أن لا يفرُّوا من أعدائهم، مهما كلَّفهم ذلك من جهادٍ وتضحيات، فكانت (بيعةُ الرضوان) تلك البيعة المباركة، التي شهدها اللَّه من عليائه، وباركها وبارك أصحابها، وسجَّلها في كتابه العزيز، بسطور وحروف من نور، وأثنى على أصحابها ذلك الثناء العاطر ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۞ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ١٨ ـ ١٩].

## لماذا سميت بيعة الرضوان؟

سُمِّيت (بيعةَ الرضوان) لأن اللَّه تعالى أحلَّ رضوانه على أهل هذه البيعة، بقوله عزَّ شأنه: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ وحدَّد الباري جلَّ وعلا مكانها بقوله سبحانه: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ فقد كانت (شجرة سَمُرة) بالحديبية، التي عسكر فيها النبي ﷺ مع أصحابه.

**قال جابر رضي اللَّه عنه:** (لو كنتُ أُبصِرُ لَأَريتُكم مكان الشجرة، وقد كنا ألفاً وأربعمائة رجل) رواه البخاري[١].

## فزع المشركين من هذه البيعة

ولمَّا وصل الخبرُ إلى مشركي قريش، أن أصحابه بايعوا الرسول ﷺ على الموت، أخذهم الرعبُ والفزعُ، فأطلقوا سراح (عثمان) رضي اللَّه عنه، وطلبوا الصلح مع رسول اللَّه ﷺ، على أن يأتي في العام القابل، ويدخل مكة فيقيم فيها ثلاثة أيام، ويطوف بالبيت آمناً مطمئناً، لا يمسُّهم أحد بأذى، وبعث المشركون إلى رسول اللَّه ﷺ (بُدَيْلَ بنَ ورقاءَ) في نفر من خزاعة، فتحدَّثَ مع رسول اللَّه وقال له: (إني تركت قريشاً وأعدادُهم، أعدادُ مياه الحديبية ـ يريد أنهم كثرةٌ كثيرة ـ وإنهم مقاتلوك، وصادُّوك عن البيت)!!

**فقال له رسولُ اللَّه ﷺ:** إنَّا لم نجئْ لقتال أحد، ولكنَّا جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نَهَكَتْهم الحربُ، وأضرَّتْ بهم، فإن شاءوا مادَدْتُهم مدة ـ أي جعلت بيني وبينهم مدة ـ ويخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهَرْ دخلوا فيما يدخل فيه الناس، وإن هم أبَوْا، فوالذي نفسي بيده، لأقَاتلنَّهم على أمري هذا، حتى تنفردَ سالفتي ـ أي ينفصل رأسي عن عنقي ـ ولينفذنَّ اللَّه أمره!

**فقال له بُدَيلٌ:** سأبلِّغهم ما تقول!

فانطلق حتى أتى قريشاً، فقال لهم: إنَّا جئناكم من عند هذا الرجل ـ يعني محمداً ـ وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم عرضناه عليكم!

**فقال سفهاؤهم:** لا حاجة لنا إلى أن تخبرنا عنه بشيء!!

**وقال ذوو الرأي منهم:** هاتِ فأخبرنا بما سمعتَه منه! فحدَّثهم بما قال النبيُّ ﷺ[٢]!!

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ١٧٥ كتاب المغازي.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشروط ٥/ ٣٨٩.

obeikandl.com

## قريش ترسل زعيماً هو (عُروةُ بنُ مسعود) لمفاوضة الرسول ﷺ

فقام (عُروةُ بن مسعود) فقال لهم: إن هذا الرجل قد عَرَض عليكم خطَّةَ رُشد فاقبلوها، ودعوني أذهب إليه بنفسي!! قالوا: فاذهب إليه.

فأتاه (عُروة) فجعل يكلِّم النبيَّ ﷺ والنبيُّ يُجيبُه بمثل ما قال لبُدَيل!

**فقال له عُروة عند ذلك:** أرأيتَ إن استأصلتَ قومك ـ أي أهلكتهم واستأصلتهم بالكلِّية ـ هل سمعتَ بأحدٍ من العرب، اجتاح قومَه قبلك!؟

وإن كانت الأخرى ـ أي كانت الغلبةُ لهم عليك ـ فإني لأرى أوباشاً من الناس ـ يعني أخلاطاً من السَّفلة ـ خليقاً أن يفرُّوا عنك ويَدَعُوك!!

## أبو بكر يردُّ على عروةَ بنِ مسعود

**فقال له أبو بكر رضي اللَّه عنه:** امْصُصْ بَظْر اللَّات ـ أي مُصَّ فرج طاغيتك التي تعبدها وهي اللَّات، وهي كلمةٌ شتيمة ومسبَّة لعروة ـ أنحنُ نفِرُّ عن رسول اللَّه؟ أرواحنا فداءٌ له!

**فقال عروةُ:** من هذا المتكلِّم؟ وكان أبو بكر خلف رسول اللَّه ﷺ، قالوا: أبو بكر!

**فقال عروةُ عند ذلك:** والذي نفسي بيده، لولا يدٌ ـ أي نعمةٌ ـ كانت لك عندي، لم أكافِئْكَ عليها، لأجبتُك ـ أي لرددت عليك هذه الشتيمة ـ وجعل (عُروةُ) يكلِّم النبيَّ ﷺ، فكلَّما تكلَّم بكلمة أخذ بلحيته ـ أي أمسك لحيةَ النبيِّ ﷺ، على طريقة العرب في مؤانسة المُخَاطَب ـ و(المغيرةُ بنُ شُعْبةَ) قائمٌ على رأس النبي ﷺ وبيده السيفُ، وعليه المِغْفَر ـ الخوذةُ التي تُلبس بالرأس ـ فكلَّما أهوى عُروةُ بيده إلى لحية النبي ﷺ، ضربَ المغيرةُ يده بمقبض السيف، وقال له: أخِّر يدك عن لحية رسول اللَّه ﷺ، قبل أن لا ترجع إليك يَدُك!!

**فقال له عروة:** ويحك ما أفظَّكَ وأغلَظَك!!

لقد كان النبيُّ ﷺ يسمعُ لعروةَ استمالةً له وتأليفاً، والمغيرةُ يمنعه إجلالاً للنبيِّ ﷺ وتعظيماً.

## احترامُ الصحابة للنبيِّ وتعظيمُهم له

ويتابع البخاريُّ حديثه فيقول:

ثم إن (عُروة) جعل يرمُقُ أصحابَ النبيِّ ﷺ وينظر إليهم بعينيه، وكان بعد ذلك يخبر عنهم قريشاً فيقول:

- واللَّهِ ما بَصَقَ النبيُّ ﷺ بصقةً، ولا تنخَّم نُخَامةً، فوقعتْ على الأرض، إلَّا وقعتْ في كفِّ رجل منهم، فدَلَك بها وجهه وجِلْدَه من فرط محبتهم للرسول ﷺ، وتبرُّكهم بآثاره.
- وإذا أمرهم بأمرٍ ابتدروا أمره، وسارعوا إلى تنفيذه.
- وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه.
- وإذا تكلَّموا خفضوا أصواتهم عنده.
- وما يُحدُّون النظر إليه تعظيما له ﷺ[1].
- فلمَّا رجع عُروة إلى قومه أشراف قريش، قال لهم:

يا قوم، واللَّهِ لقد وفدتُ على الملوك، ودخلتُ على كسرى، وقيصر، والنجاشي، فواللَّهِ ما رأيتُ مَلِكاً قطُّ، يُعظِّمه أصحابُه، كما يُعظِّم أصحاب محمدٍ محمداً!!

واللَّهِ ما تنخَّم نخامةً إلَّا وقعت في كفِّ رجل منهم، فدَلَكَ بها وجْهَه وجلده.

وإذا أمرهم ابتدروا أمره ـ أي تسابقوا إلى تنفيذ ما يأمر به ـ.

وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه.

وإذا تكلَّموا خفضوا أصواتهم عنده.

وما يُحدُّون النظر إليه ـ أي ما يملؤون أعينهم من النظر إليه ـ تعظيماً له.

وإنه قد عَرَض عليكم خُطَّة رُشد ـ أي طريقة صلح فيها الخير والفلاح ـ فاقبلوها)[2]، ولا تقاتلوه، فلا قدرة لكم عليه ولا على أصحابه!

---

(١) هذا كلُّه من فرط إجلالهم للرسول ﷺ، ومحبتهم له، كانوا يفعلون بالرسول ما لا يفعله الناسُ بملوكهم وعظمائهم، بل يبالغون في التبرك بشعره ووضوئه وآثاره. **قال الحافظُ ابن حجر**: ولعلَّ الصحابة فعلوا ذلك بحضرة (عُروة) وبالغوا في ذلك، إشارةً منهم إلى الردِّ على ما خشيه من فرارهم، وكأنهم قالوا بلسان الحال: إنَّ من يحبُّ إمامه هذه المحبة الشديدة، ويعظِّمه هذا التعظيم، كيف يُتصوَّر أن يفرَّ عنه، ويُسَلمه لعدوه!؟ فتح الباري ٥/ ٤٠٢.

(٢) استقينا هذه السيرة من صحيح الإمام البخاري ٥/ ٣٩٠ والحديث طويل وفيه غرائب وعجائب من الأخبار المثيرة التي رواها لنا الإمام البخاري رضي اللَّه عنه.

obeikandl.com

## وثيقة الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش

أثناء هذه المحاورة بين قريش، وبين أحد زعمائها، وهو (عُروةُ بنُ مسعود) جاءهم رجل من بني كنانة ناصحاً، فقال لهم: يا معشر قريش، لقد رأيتُ البُدْن - أي الإبلَ المهداة للحرم - ورأيتُ الناس يلبُّون، فلا ينبغي لمثل هؤلاء، أن يُصَدُّوا عن البيت!! وإنها لكبيرةٌ عليكم، أن تمنعوا قوماً جاءوا معتمرين، ولم يأتوكم محاربين مقاتلين!!

فعند ذلك مالتْ قريشٌ إلى الصلح، وأرسلوا بعض زعمائهم، ليكتب وثيقة الصلح (صلح الحديبية) بينهم وبين محمد رسول اللَّه ﷺ.

## قريش تختار (سُهيْلَ بنَ عَمْرٍو) لكتابة شروط الصلح

أرسلت قريش سفيرها إلى رسول اللَّه ﷺ، ليكتب شروط الصلح، وكان اسمه (سُهيلَ بنَ عَمْرو) وهو من دهاقين السياسة، ودهاة العرب، فقال لرسول اللَّه ﷺ: اكتب بيننا وبينك كتاباً، يكون بيننا عهداً وميثاقاً على الصلح، نلتزم به نحن وأنت!!

فدعا رسولُ اللَّه ﷺ الكاتب - وكان الكاتبُ علياً رضي اللَّه عنه - فقال: اكتبْ (بسم اللَّه الرحمن الرحيم).

**فقال سهيلُ:** أمَّا (الرحمنُ) فلا نعرفُ نحن من هو الرحمن[1]؟ ولكنْ اكتبْ باسمك اللهمَّ، كما كنَّا نكتب!

**فقال المسلمون:** واللَّهِ لا نكتبُها إلَّا (بسم اللَّه الرحمن الرحيم).

**فقال النبيُّ ﷺ لعليٍّ:** اكتبْ باسمك اللهم!! فكتب عليٌّ ذلك.

**ثم قال له ﷺ:** اكتبْ هذا ما قاضى عليه محمد رسول اللَّه ﷺ.

**فقال سُهيل:** واللَّهِ لو كنا نعلم أنك رسولُ اللَّه، ما صدَدْناك عن البيت، ولا قاتلناك!! ولكن اكتب: محمدُ بنُ عبد اللَّه!

**فقال النبي ﷺ:** واللَّهِ إني لرسولُ اللَّهِ وإنْ كذَّبتموني!!

أنا (محمدُ بن عبد اللَّه) وأنا واللَّهِ رسولُ اللَّه.!

وكان عليٌّ قد كتَبَ: هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ اللَّه، فقال له ﷺ:

---

(١) قال تعالى في تبيين ضلال المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الفرقان آية (٦٠).

امحُ رسولَ اللَّه، فقال عليٌّ: واللَّهِ لا أمحوه أبداً.!

**فقال له رسولُ اللَّه ﷺ**: فأرني مكانَه، فأراهُ إيَّاه، فمحاه النبيُّ ﷺ بيده.

**قال الزهري**: وذلك لقوله ﷺ: (واللَّهِ لا يسألوني خُطَّةً، يعظّمون فيها حرماتِ اللَّه، إلَّا أعطيتُهم إيَّاها)[١].

## تعنُّتُ المشركين في شروطهم

**ثم قال اكتب**: على أن تخلُّوا بيننا وبين البيت، فنطوفَ به ـ أي يطوفوا ببيت اللَّه الحرام أداءً لنسك العمرة ـ.

**فقال له سهيل**: واللَّهِ لا تتحدث العربُ أنَّا قد أُخِذْنا بالعُنْوة وأُجبرنا عليه، رغماً عنَّا، ولكنْ يكون ذلك في العام القادم، ترجعون هذا العام، وتدخلونها في العام القادم، دون أن يكون معكم سلاح، إلَّا السيفَ في غِمْده، غير مسلول.

**ثم قال سهيل مشترطاً على رسول اللَّه شروطاً قاسية**، أغضبتْ أصحابَ رسول اللَّه.

- منها: إذا جاء أحدٌ من المسلمين، يريد الدخول في دين المشركين، لا يردُّوه إلى المسلمين.
- وإذا جاء أحدٌ من المشركين، يريد الدخول في دين محمد، أن يردَّه عليهم، فقال المسلمون: يا سبحان اللَّه!! كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً!!

**كان هذا الشرط الظالم، ممَّا أثار حفيظة المسلمين**، واستشاط غضبهم، فوافق الرسول ﷺ على هذا الشرط، رغم ما فيه من ظلم فادح.

## هَرَبُ (أبي جندل) من الأسر إلى الحديبية

**وأثناءَ كتابة (شروط الصلح) قدم رجل من المسلمين**، كان قد هرب من مكة، من بين أظهر المشركين، ورمى بنفسه بين أظهر المسلمين، يريد حمايته!!

كان هذا الرجل يُدعى (أبا جَنْدل)[٢] وهو ابنٌ (لسُهيل بن عَمْرو) الذي كان يكتب شروط الصلح مع رسول اللَّه ﷺ!

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الشروط ٥/ ٣٩٠.

(٢) (أبو جندل) هو ابنُ (سُهيل بن عمرو) سفير قريش للصلح، كان قد أسلم، وحُبس بمكة، ومُنع من الهجرة، وعُذِّب بسبب الإسلام عذاباً شديداً، ثم فرَّ وجاء إلى الرسول ﷺ وهو بالحديبية.

obeikandi.com

**فقال له سهيل:** هذا يا محمدُ أوَّلُ من أُقَاضيك عليه، أن تردَّه إليَّ!!

**فقال له ﷺ:** إنَّا لم نَقْضِ الكتابَ بعدُ ـ أي لم نَنْتهِ من كتابة عقد الصلح ـ.

**فقال له سهيل:** واللَّهِ إذاً لا أصالحك على شيء من العقد أبداً!

**فقال له النبي ﷺ:** فأَجِزْه لي ـ أي استثنه لي من الشرط ـ.

**قال:** ما أنا بمجيزٍ لك إيَّاه، إلَّا أن تردَّه إليَّ!!

**قال:** بلى فافعلْ، فقال: ما أنا بفاعل، وواللَّهِ ليس بيننا وبينك صلحٌ أبداً إذاً!!

سكت رسولُ اللَّه ﷺ وقَبِل بالشرط، رعايةً للحفاظ على حُرمة البلد الأمين، أن تُراق فيه الدماءُ.

**فلمَّا رأى (أبو جندل)** أن الرسول ﷺ سيردُّه إليهم، قال: يا معشر المسلمين، أأُردُّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً؟ ألا ترون إلى ما لقيتُ؟ وكان قد عُذِّب عذاباً شديداً في اللَّه!! فقال له ﷺ: يا أبا جَنْدل، اصبرْ واحتسبْ، فإنا لا نَغْدِر، وإنَّ اللَّه جاعل لك فرجاً ومخرجاً!!

**وقام معه عمر وهو يقول له:** اصبرْ فإنما هم مشركون، دمُ أحدهم كدم كلب!

## شروط الصلح المجحفة بالمسلمين

كانت شروط (قريش) في الصلح قاسيةً وظالمة، بسبب طغيان المشركين وجبروتهم، مما جعل المسلمين يغضبون، ويدخل إلى نفوسهم الحزنُ والألم الشديد، حيث تضمَّن (عقد الصلح) الأمورَ الآتية:

**أولاً:** أن يرجع محمد وأصحابُه هذا العام، ويدخلوا مكة في العام القادم معتمرين.

**ثانياً:** أنَّ من جاء من المشركين، يريد اللحاق بمحمد، وأَنْ يدخل في دينه، يردُّه إلى قريش، وأنَّ من جاء من المسلمين، مرتداً عن دينه، يريد اللحاق بالمشركين، لا يردُّونه إلى محمد ﷺ.

**ثالثاً:** أن لا يقيموا بمكة عند قدومهم، أكثرَ من ثلاثة أيام، وأن لا يحمل المسلمون معهم سلاحاً، إلَّا السيوف تكون في أغمادها ـ أي لا يُشهرون سلاحاً في مكة ـ.

**رابعاً:** هذا عدا عمَّا كان من قريش، من فرض إرادتهم في بنود الصلح، أن

لا يكتب فيه (محمد رسول اللَّه) وحتى لا يكتب أيضاً (بسم اللَّه الرحمن الرحيم) من فرط جبروتهم وطغيانهم، ليرضخ المسلمون إلى شروطهم، وينزلوا عند هواهم ورغبتهم، وكأنهم يريدون أن يتحكَّموا في شروط الصلح، رغم شعور المسلمين بالظلم الصارخ في تلك الشروط، وعدم العدل فيها!!

## موقف عمر بن الخطاب من شروط الصلح

كان أوَّلَ من أحزنهُ أمرُ الصلح، وأثارَ غضَبَه وثورتَه (عمرُ بن الخطاب) رضي اللَّه عنه، فإنه جاء إلى رسول اللَّه ﷺ غاضباً ساخطاً، معترضاً على قبول تلك الشروط، التي أملاها المشركون على رسول اللَّه ﷺ، وارتضاها رسول اللَّه، دون أن يُدْرِك عمرُ والمسلمون، الحكمةَ التي أرادها اللَّه تعالى لنبيِّه ﷺ من وراء هذا الصلح، وما سيترتب عليها من آثار عظيمة وجليلة.!

## رواية البخاري لموقف عمر رضي اللَّه عنه

ولنُفْسح المجالَ أمامَ أمير المؤمنين في الحديث الشريف (الإمام البخاري) ليحدثنا عن موقف عمر من هذا الصلح، حيث يروي لنا بسنده تلك الحادثة فيقول:

(قال عمر بنُ الخطاب): فأتيتُ نبيَّ اللَّه ﷺ، فقلت: يا رسولَ اللَّه، ألستَ نبيَّ اللَّهِ حقاً!! قال: بلى، أنا نبيُّ اللَّهِ.!

قلتُ: ألسنا على الحقِّ، وعدوُّنا على الباطل؟ قال: بلى.!

قلتُ: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى.!

قلتُ: فَعَلَامَ نعطي الدنيَّةَ في ديننا، ونرجع ولمَّا يحكم اللَّهُ بيننا وبينهم؟

فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: يا ابنَ الخطَّاب، إني رسولُ اللَّه، ولستُ أعصيه، وهو ناصري، ولن يضيِّعني اللَّه أبداً!!

قلت: يا رسول اللَّه، ألم تكن تُحدِّثنا أنَّا سنأتي البيتَ، ونطوف به؟ قال: بلى، هل أخبرتك أنَّا سنأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوِّف به!!

## ذهابُ عمر إلى (أبي بكر) شاكياً عقد الصلح

قال عمر: فأتيتُ أبا بكر رضي اللَّه عنه، فقلتُ: يا أبا بكر، أليس هذا نبيَّ اللَّه حقاً؟ قال: بلى.!

**قلت:** ألسنا على الحقِّ، وعدوُّنا على الباطل؟ قال: بلى!

**قلتُ:** فلمَ نعطي الدنيَّةَ في ديننا ـ أي نرضخ لشروطهم ونذلُّ أنفسنا أمامهم ـ!؟

**فقال أبو بكر:** أيها الرجل، إنه لرسولُ اللَّه ﷺ، ولن يعصي ربَّه، وهو ناصِرُه، فاستَمْسِكْ بغَرْزه ـ كنايةٌ عن التمسُّكِ بأمره، وترك مخالفته ـ فلن يضيِّعه اللَّه أبداً!!

**قال الزهري:** قال عمر: (فعملتُ لذلك أعمالاً)[1]. هذه رواية البخاري.

**وفي رواية ابن إسحاق:** (وكان عمر رضي اللَّه عنه يقول: ما زلتُ أتصدَّق، وأصومُ، وأصلِّي، وأُعتق الرقاب، من الذي صنعتُ يومئذٍ، مخافة كلامي الذي تكلمتُ به)[2].

## غياب الحكمة من الصلح عن كثيرٍ من الصحابة

لقد غابت الحكمةُ من هذا الصلح عن كثير من الصحابة، حتى قال بعضهم: كيف نقبل على أنفسنا، أن نجعل لهم أنَّ من لحقَ من الكفار بالمسلمين ـ أي جاء يريد الإسلام ـ نردُّه إليهم، ومن لحق من المسلمين بالكفار، لا يردُّونه علينا؟ أليس هذا من هَوَانِنا وضعفنا أمام أعداء اللَّه؟ أليس هذا من الدنيَّة في ديننا؟

وما دَرَوْا أن هذا الصلح، كان بدايةَ النصر للفتح الأكبر (فتح مكة) حيث قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

أي علم سبحانه ما في هذا الصلح من الخير والحكمة، والمصلحة للمسلمين، ما لم تعلموه أنتم، فجعل قبل فتح مكة فتحاً عاجلاً، هو (صلح الحديبية) هذا هو الفتح القريب، أمَّا الفتح الآجل، وهو (فتح مكة) فقد كان في السنة الثامنة من الهجرة، بعد سنتين من الصلح.

**روى البخاري عن البراء بن عازب رضي اللَّه عنه أنه قال:**

(تعدُّون أنتم الفتحَ (فتحَ مكة) وقد كان فتحُ مكة فتحاً ـ أي فتحاً مجيداً ـ

---

(١) فتح الباري ٥/٤٠٨.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: لم يذكر عمر أنه راجع أحداً بعد رسول اللَّه ﷺ غيرَ أبي بكر، وذلك لجلالة قدره، وسعة علمه عنده، وفي جواب أبي بكر لعمر بمثل ما أجابه به النبي ﷺ دليلٌ على أنه كان أكمل الصحابة، وأعرفهم بأحوال رسول اللَّه ﷺ، وأعلمهم بأمور الدين رضي اللَّه عنه، ولم يكن اعتراض عمر شكاً منه، بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار، لما عُرف عنه من قوته في نصر الدين!! اهـ فتح الباري.

ونحن نعدُّ الفتحَ (بيعةَ الرضوان) يومَ الحديبية)[١]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

## كلام بديع للصدّيق حول الصلح

**وكان أبو بكر رضي اللّه عنه يقول:** ما كان فتحٌ في الإسلام، أعظمَ من (فتح الحديبية) ولكنَّ الناسَ يومئذٍ قَصُرَ رأيُهم ـ أي لم يدركوا الحكمة ـ عمَّا كان بين محمد ﷺ وربِّه، والعبادُ يَعْجلون، والربُّ تبارك وتعالى لا يَعْجَل كعَجَلة العباد، حتى تكون الأمور كما أرادها اللّه!

**يقول أبو بكر: لقد نظرتُ إلى (سُهَيلِ بنِ عَمْرو)** في حجِّه قائماً عند المنحر، يُقرِّب إلى رسول اللّه ﷺ بُدْنه، ورسولُ اللّه ﷺ ينحرها بيده، ودعا الحلَّاقَ فحلَق رأسه.

**وأنظرُ إلى (سُهَيل) يَلْتقِطُ من شعره ﷺ، وأراه يَضَعُه على عينيه ـ أي يجعله فوق عينيه تبركاً به ـ وأذكرُ إباءه ـ أي امتناعه ـ أن يُقرَّ يوم الحديبية بأن يُكْتب (بسم اللّه الرحمن الرحيم) ويأبى أن يكتب (أنَّ محمداً رسولُ اللّه) ويقول: بل نكتبُ (محمدَ بن عبد اللّه) فحمدت اللّه الذي هداه للإسلام)**[٢].

**وصلواتُ ربي وبركاته على نبيِّ الرحمة محمد رسول اللّه، الذي هدانا اللّه به، وأنقذنا من الهَلَكة.**

## ثمرة الصلح ومنافِعُه العظيمة

**ذكر ابنُ إسحاق** في روايته عن الزهري أنه قال: في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قال: هو (صلحُ الحديبية) فما فُتح في الإسلامِ فتحٌ قبلَه، كان أعظمَ منه!

**إنما كان القتالُ قبلَ الصلح**، حيث يلتقي الناسُ: المؤمنون، والمشركون، فيقع بينهم قتال، فلمَّا كانت الهُدنةُ، ووضعت الحربُ أوزارَها، أمِنَ الناسُ بعضُهم بعضاً ـ أي وقع الأمانُ بين المسلمين والمشركين ـ والتقوا، فتفاوضوا في الحديث وتفاهموا، ولم يقَعْ بينهم منازعة، ولم يُكلِّم أحدٌ في الإسلام يعقل شيئاً، إلَّا دخل فيه عن رضى وقناعة.

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي ٥/ ١٧٦.

(٢) هذا الأثر ذكره الإمام الواقدي ٢/ ٦١٠ وانظر الجامع في السيرة النبوية ٣/ ٨٥.

**ولقد دخل في تلك السنتين**، مثلُ من كان داخلاً في الإسلام قبلَ ذلك، أو أكثر).

**قال ابن هشام:** والدليلُ على قول الزهري، أن رسول اللَّه ﷺ خرج إلى الحديبية، في ألفٍ وأربعمائة من أصحابه، ثم خرج عام (فتح مكة)، فدخل مكة بعد سنتين، في عشرة آلاف من أصحابه)[1]!!

هذا كلُّه يؤيِّد أن ما فعله الرسولُ ﷺ، إنما كان بتوفيق من اللَّه وتدبير، لما فيه خيرُ الإسلام والمسلمين، فظاهِرُ الصلح كان في مصلحة المشركين، وحقيقة الصلح كان لمصلحة المؤمنين، لأنه لو وقع قتال في ذلك الحين، لكانت الكارثة عظيمة وجسيمة، على أصحاب الرسول، لقلَّتِهم وكثرةِ أعدائهم، فاختار اللَّه لهم ما هو الأنفع والأصلح، ولذلك نبَّههم تعالى إلى نعمته عليهم بالصلح فقال سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦] ولهذا قال بعد ذلك ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ سمَّاه تعالى (فتحاً) أي نصراً للمؤمنين، لما ترتَّب عليه من الآثار الجليلة.!

**قال المفسرون:**

المراد بقوله تعالى: ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ العصبيَّة الجاهلية التي كان عليها المشركون، وهي الأنفةُ والغطرسةُ، حيث منعوكم من دخول مكة، وأداء مناسك العمرة، ورفضوا أن يكتبوا في وثيقة الصلح (بسم اللَّه الرحمن الرحيم) كما رفضوا أن يكتبوا (محمد رسولُ اللَّه) وقالوا للرسول ﷺ: اكتب اسمك واسم أبيك، فلو نعلم أنك رسولُ اللَّه حقاً، ما منعناك!! ولا كذَّبناك!!

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أنزل اللَّه الطمأنينةَ، والصبرَ والوقارَ، على قلب رسوله، وقلوب المؤمنين، ولم تلحقهم العصبيَّةُ الجاهلية كما لحقت المشركين ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي ثبَّتَ المؤمنين على كلمة الإيمان والتوحيد (لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه) والطاعة والإذعان لأمر اللَّه، وأمر رسوله، مع أن شروط الصلح كانت مجحفةً بحقوق المسلمين، وهذا من تدبير اللَّه وحكمته[2].

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٧٢ وانظر كتاب الجامع في السيرة النبوية لسميرة الزايد ٣/ ٨٤.

(٢) انظر التفسير الواضح الميسر ص١٢٩٥ للصابوني، وتفسير الحافظ ابن كثير ٣/ ٣٤٨.

# قصة (أبي بصير) وهربه إلى المدينة

لقد رأينا أن الرسول ﷺ قد ردَّ (أبا جندل) إلى أبيه (سُهيلِ بنِ عَمْرٍو) تنفيذاً لعهد الصلح، ولمْ يأته أحد من الرجال، إلَّا ردَّه في تلك المدة، وإن كان مسلماً تطبيقاً لشروط العهد.

**ولمَّا رجع رسولُ اللَّه ﷺ إلى المدينة المنورة**، هرب رجلٌ من أهل الإسلام، من قبيلة ثقيف، يُقال له: (أبو بصير) واسمه «عُتبةُ بنُ أُسَيْد الثَّقفي» كان مسلماً محبوساً بمكة، هرب من المشركين، وأتى رسولَ اللَّه ﷺ مسلماً مهاجراً، فبعث في أَثَره (الأخنسُ بن شَريق) رجلين، يطلبان من رسول اللَّه ﷺ، أن يردَّه إلى قريش، تنفيذاً لعقد الصلح.!

**فقال رسول اللَّه ﷺ لأبي بصير:** يا أبا بصير، إنَّا قد أعطينا لهؤلاء القوم ما قد علمتَ، ولا يصلح لنا في ديننا الغَدْرُ، وإنَّ اللَّه جاعلٌ لك، ولمن معك من المستضعفين، فَرَجاً ومخرجاً، فانطلقْ إلى قومك.!

**قال: يا رسول اللَّه،** أتردُّونني إلى المشركين ليفتنوني عن ديني!!

**قال:** يا أبا بصير، انطلقْ، فإن اللَّه سيجعل لك ولمن معك فَرَجاً ومخرجاً!

فدفع إليهما (أبا بصير) فخرجا به متَّجهين إلى مكة المكرمة.!

## أبو بصير يُفلت من القوم ويقتل رجلاً

**انطلق (أبو بصير) معهما**، حتى إذا وصل إلى (ذي الحليفة)، جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه، يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحدهما: ما هذا السيف الذي معك يا أخا بني عامر؟ أسيفك صارمٌ بتَّار؟ قال: نعم، إنه حادٌّ وصقيل، يفري العدوَّ فرياً!!

قال: دعني أنظرْ إليه، قال: أَقْبِلْ وانظرْ إليه إن شئت! فدفعه إليه، فاستلَّه (أبو بصير) ثم علاه به حتى قتله.

**وفرَّ الثاني سريعاً، راجعاً إلى رسول اللَّه ﷺ**، فلما رآه الرسول ﷺ قادماً

نحوه، قال لأصحابه: إنَّ هذا الرجل قد رأى شيئاً مفزعاً!!

فلمَّا انتهى إلى رسول اللَّه ﷺ، قال له: ويحك ما الذي جاء بك؟

**قال: يا محمد، إنَّ صاحبكم قتَلَ صاحبي!! وأراد قتلي فنجوتُ منه!! وما لبثَ قليلاً حتى رجع (أبو بصير) متوشّحاً سيفه، حتى وقف على رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، قد واللَّهِ أوفى اللَّهُ ذِمَّتَك ـ أي نفَّذتَ العهد ـ وأدَّى اللَّه عنك، ما أعطيتَهم من الميثاق، وقد امتنعتُ منهم بديني أن يفتنوني فيه، أو يبطشوا بي بسبب إسلامي، فأنت الآن غير مسؤول!!**

**فقال رسولُ اللَّه ﷺ**: (ويلُ أمِّه مُسْعِرُ حرب) ـ أي مشعلُ نار حرب بيننا وبين المشركين ـ لو كان له أحدٌ، ينصرُه، ويحميه ويُعاضده!؟

وفي كلامه ﷺ إشارةٌ إليه وتلميحٌ له بالفرار، لئلا يردَّه ﷺ إلى المشركين، مرةً أخرى بسبب الشرط.!

فلمَّا سمع ذلك عَرَف أن الرسولَ ﷺ سيردُّه إليهم، فخرج حتى أتى ساحل البحر، وانفلتَ منهم (أبو جندل بنُ سُهَيل) فلحق (بأبي بصير) فصار لا يخرج رجلٌ من قريش قد أسلم، إلَّا لحِقَ بأبي بصير.!

## تكوُّن عصابة من الفارّين من مكة

**وتكونت منهم (عصابة)** لا يسمعون بعيرٍ أو تجارة، خرجت لقريش إلى بلاد الشام، إلَّا تعرَّضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم.!

**فأرسلت قريشٌ إلى النبيّ ﷺ، تناشدُه اللَّهَ والرَّحِمَ**، أن يُلغي هذا الشرط الذي اشترطوه، وهو أنَّ (من جاء منهم إلى محمد مسلماً يردُّه إليهم) وقالوا: إن أتاك أحد منهم فهو آمنٌ، ولا نريد أن تردَّه إلينا، وذلك ليتخلَّصوا من أذاهم وشرّهم، فأرسل النبيُّ ﷺ إليهم أن ارجعوا آمنين، ولا تتعرضوا لقريش، وفي ذلك أنزلَ اللَّه عزّ وجلّ هذه الآيات الكريمة، مذكّراً المؤمنين بنعمته الجليلة عليهم، حيث قال سبحانه:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا

أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[١] الآيات [الفتح: ٢٤ ـ ٢٦].

## عصابةُ الحقِّ والعدل والإيمان

يمكننا أن نسمي هذه العصابة (عصابةَ الحقِّ والإيمان) في وجه الكفر والطغيان، فقد كان الظلمُ والبطشُ لهؤلاء المؤمنين المستضعفين، سبباً لخروج هذه العصابة، حتى أصبح اشتراطُ قريش على الرسول ﷺ، ردَّ من خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، بلاءً وشقاءً عليهم، وسبباً لظهور هذه العصابة (قُطَّاعَ الطريق) في نظر قريش، حتى استنجدوا بالرسول ﷺ، أن يأخذهم إليه، ويبطل ذلك الشرط الذي اشترطوه عليه!! وكم من حكمةٍ للّه تعالى في أمره وتدبيره، وصدق اللّهُ العظيم حيث يقول: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

**أمَّا اشتراطهم على الرسول، عدمَ ردِّ من جاء من المسلمين**، مرتداً عن دينه إلى قريش، فلم يقع شيء منه، ولم يحصل أن ترك أحدٌ الإسلام، ولحق بدين المشركين، فكان اشتراطُهم ذلك حِبْراً على ورق، وحماقةً منهم تدلُّ على عدم إدراكهم عظمةَ هذا الدين، فهل فيه ذرَّةٌ من الخير، من يرجعُ من الإيمان إلى الكفر؟ وحين قال بعضُ الصحابة لرسول اللّه ﷺ: أنكتبُ هذا؟ قال: نعم، إنه من ذهب منَّا إليهم فأبعدَهُ اللّهُ) أي لا خير فيه، وأخزاه اللّه.

ولذلك رأينا الرسولَ ﷺ، لم يكترث بهذا الشرط، لأنه يعلم أنه لن يحدث هذا الأمر، ورضي بأن يبقى هذا الشرط في وثيقه الصلح.

**قال الإمام البخاري** بعد ذكر قصة (صلح الحديبية) في قول اللّه تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

(كانت حميَّتُهم أنهم لم يُقرُّوا أنه نبيُّ اللّه، ولم يُقرُّوا بكتابة (بسم اللّه الرحمن الرحيم) وحالوا بينهم وبين البيت)[٢]:

## أمرُ النبيِّ ﷺ أصحابَه بالتحلل من الإحرام

لمَّا فرغ رسول اللّه ﷺ من عقد الصلح، وكتب الكتاب بينه وبين المشركين، على أن يرجع من عامه، ثم يرجع في العام الذي يليه لأداء العمرة، قال ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا الهَدْيَ، ثم احلقوا رؤوسكم وتحلَّلوا!!

**وذكر البخاري في روايته عن (المسور بن مَخْرمة) أنه قال:** فواللّهِ ما قام

(١) انظر القصة وافية كافية في صحيح البخاري ٥/ ٣٩١ من فتح الباري لابن حجر.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥/ ٣٩٢.

منهم رجل واحد، حتى قال ذلك ثلاثَ مرات، فلم يقم منهم أحدٌ[١]. !

فاشتدَّ ذلك عليه ﷺ، فدخل على زوجهِ (أمِّ سلمة) رضيَ اللَّه عنها فقال لها: هلَكَ المسلمون، أمرتُهم أن يَحْلقوا ويتحلَّلوا فلم يفعلوا!؟

## إشارة أم سلمة على الرسول ﷺ

فقالت: يا رسولَ اللَّه، أتحبُّ ذلك؟ اخرجْ إليهم، ثم لا تكلِّمْ أحداً منهم كلمة واحدة، حتى تنحرَ بُدْنَك ـ أي الهدي ـ وتدعُوَ حالقَك فيحلق لك!؟

فخرج ﷺ فلم يكلِّم أحداً منهم، حتى فعل ما أشارت عليه (أمُّ سلمةَ) نَحَر بُدْنه، ودعا حالقَه فحَلَق له، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضُهم يحلقُ بعضاً، حتى كاد بعضُهم يقتل بعضاً غمّاً[٢] ـ أي أَسَفاً منهم ـ لعدم مسارعتهم تنفيذ أمر الرسول، حين أمرهم بالتحلل من العمرة ـ!!

وهكذا فُرِجت الغُمَّةُ عن الرسول ﷺ بإشارةٍ من أمِّ المؤمنين (أمّ سَلَمة) رضي اللَّه عنها.

## بيان حكمة الصلح في الكتاب العزيز

ولقد وضَّح اللَّه للمؤمنين بعض الحكمة من هذا الصلح، وعزَّاهم بما صنعه بهم المشركون، بقوله سبحانه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

**توضيح معنى الآية الكريمة، كما جاء في التفسير الواضح الميسَّر** ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي كفار قريش، هم حقيقةً الكفار الفجار،

---

(١) لم يسارعوا إلى تنفيذ أمرِ النبيِّ ﷺ، لا معصيةً له عليه السلام، وإنما طمعاً منهم، أن يوافقهم الرسولُ على رأيهم، بعدم الرجوع حتى يؤدُّوا العمرة، ولو دعا ذلك إلى قتال المشركين، فقد دخلهم من شروط الصلح المجحفة، أمرٌ عظيم، لم تتحمله نفوسُهم، لما لحقهم من الذلِّ أمام غطرسة المشركين مع ظهور قوتهم، وقدرتهم في اعتقادهم على بلوغ مقصدهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، وقد كان لما أشارت عليه (أمُّ سلمة) أن يتحلَّل قبلهم، ليعرفوا أن الأمر عزيمة، تمامُ السَّداد والحكمة، لذلك سارعوا إلى تنفيذ ما أمرهم به ﷺ فحلقوا وتحلَّلوا، وأخذوا يتقاتلون على شعره ﷺ ليتباركوا به، ورُفعت الغُمَّةُ عن رسول اللَّه بمشورة أم سلمة رضي اللَّه عنها.

(٢) انظر صحيح البخاري ٥/ ٣٩١ من فتح الباري لابن حجر.

الذين يستحقون القتال، لأنهم منعوكم عن دخول المسجد الحرام، لأداء مناسك العمرة ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي ومنعوا أيضاً الهَدْيَ (معكوفاً) أي محبوساً أن يصل إلى مكة ليُذْبحَ فيها، وكان الهديُ الذي ساقه الرسول ﷺ سبعين بدنة ـ أي سبعين بعيراً ـ وهذا الهدي لفقراء الحرم، فمنعوا المسلمين ومنعوا الهَدْيَ، وهذا من الكبائر عند أهل الجاهلية، ولكنهم أخذتهم الحميَّةُ والعصبيةُ بالإثم والعدوان، فقالوا: لا يدخل محمد وأصحابه مكة هذا العام، فجوراً منهم وطغياناً ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي لـولا أن في مكة رجالاً ونساء، من المؤمنين المستضعفين، الذين يُخفون إسلامهم، خوفاً من طغاة مكة، لا تعرفونهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين، خشيةَ أن تقتلوهم دون علم منكم بإيمانهم، فينالكم بسبب قتلهم إثم وذنب عظيم، وجواب (لولا) محذوفٌ تقديره: لأذن اللَّه لكم في قتالهم، ودخول مكة، ولسلَّطكم على المشركين ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي ليدخل اللَّه في الإسلام، من يشاء هدايته من المشركين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي لو تميَّز المسلمون عنهم، وانفصلوا عن المشركين، لعذَّبنا الكفرةَ أعداءَ اللَّه، عذاباً مؤلماً موجعاً، بالقتل، والأسر، والتشريدِ من الوطن[1].

لقد رضي المسلمون أخيراً بشروط الصلح، فنحروا هَدْيَهم، وحلقوا، وتحلَّلوا، طاعةً لرسول اللَّه ﷺ، وكان في ذلك كلُّ الخير والمصلحة للمسلمين، وفي طريقِ عودتهم إلى المدينة المنورة، نزلت سورة الفتح على رسول اللَّه ﷺ.

## نزول سورة الفتح مرجع الرسول من الحديبية

**روى الإمام البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه** (أنه كان يسير مع رسول اللَّه ﷺ مرجعه من الحديبية ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يُجبْه رسولُ اللَّه ﷺ، ثم سأله فلم يُجبْه، ثم سأله الثالثة فلم يُجبْه، فقال عمر: ثَكِلتكَ أمك يا عمر! ألَحَحْتَ على رسول اللَّه في السؤال ثلاثَ مرات، كلُّ ذلك لا يجيبك!!

**قال عمر:** فحرّكتُ بعيري حتى تقدَّمتُ أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن!! فما لبثتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بي، فجئتُ رسولَ اللَّه ﷺ فسلَّمتُ عليه، وأنا أخشى أن يكون نزل فيَّ قرآن، فقال لي ﷺ: لقد أنزلت عليَّ اللَّيْلةَ

(١) التفسير الواضح الميسَّر لخادم الكتاب والسنة، الشيخ محمد علي الصابوني ص١٢٩٤.

سورة، هي أحبُّ إلي ممَّا طلعت عليه الشمسُ ـ أي أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها ـ ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1] السورة الكريمة).

وهكذا كان (صلحُ الحديبية) بدايةً للفتح الأعظم (فتح مكة) حيث به تمَّ العزُّ، والنصرُ، والتمكينُ للمؤمنين، ودخل الناس في دين اللَّه أفواجاً، ولهذا قال البراءُ بن عازب رضي اللَّه عنه: (تعدُّون أنتم الفتحَ (فتح مكة) وقد كان فتحُ مكة فتحاً، ونحن نعدُّ الفتح (بيعة الرضوان) يوم الحديبية) الحديث أخرجه البخاري.

* * *

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الفتح ٨/ ٤٤٧ وفي المغازي، ومالك في الموطأ ١/ ٢٠٤.

obeikandl.com